رمضـــــان ريـــــاض المـــــؤمنين

وزاد المـــــــتّقين

بقلم الدّكتور: منير عليّ عبدالرّب القباطيّ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدلله الّذي قسّم بين الخلائق أسباب العسر واليسر، وخصّنا من بين سائر الأمم بشهر الصّيام والصّبر، وغسل به ذنوب الصّائمين كغسل الثّوب بماء القطر، وأشهد ألّا إله إلّا الله وحده لاشريك له القائل: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "[1] .

أمّا بعد :

إخواني في الله : قبل أن نشرع في الكلام عن رياض المؤمنين، خليق بنا أن نحمد الله – تعالى – على نعمه العظيمة الّتي لاتعدّ ولاتحصى، أجلّها نعمة الإسلام، وسواها نعم كثيرة، منها نعمة الصّيام في هذا الشّهر العظيم، فإنّه نعمة عظيمة تستوجب منّا الشّكر والثّناء لربّنا – تعالى – ، فكم من أناس صاموا معنا رمضان في العام المنصرم، ولم يشهدوا معنا صيامه في هذا العام !!

يا ذا الذي ما كفاه الذنبُ في رجبٍ حتّى عصى ربّه في شهر شعبانِ

لقد أظلّك شهر الصّوم بعدهما فلا تُصَيِّرْهُ أيضاً شهرَ عصيانِ

[1] سورة البقرة، الآية: (183).

واتل القُرَآن وسبّح فيه مجتهدا فإنّه شهر تسبيح وقرآنِ

كم كنت تعرف ممّن صام في سَلَفٍ من بين أهل وجيران وإخوانِ

أفناهمُ الموت واستبقاك بعدهمو حَيّاً فما أقرب القاصي من الداني

فلنحمد الله ربّنا أن أمدّ أعمارنا إلى هذا العام حتّى أدركنا رمضان، ولنعلنها مدويّة: لك الحمد ربّنا حتّى ترضى ، ولك الحمد ربّنا إذا رضيت عنّا، ولك الحمد ربّنا بعد الرّضا عنّا، لك الحمد ربّنا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .

إخواني في الله : ما أكرم ربّنا بعباده ، حين جعل لهم محطّاتٍ يتزوّدون منها زاد التّقوى؛ فتسعد قلوبهم في الآخرة والأولى، وما أسعد عيشة القلوب في أيّام ولياٍل طالما ذابت أحداق الصّالحين في انتظارها، وتمزّقت مآقيهم على فراقها؛ لما جعل الله فيهنّ من الأجر العظيم، والثّواب الجزيل، والفضل الجسيم.

من فضائل شهر رمضان

- أنعم الله – تعالى – علينا بهذا الضّيف الكريم، الّذي طالما اشتاقت إليه النّفوس، واشرأبّت إليه الأعناق، وتأهّبت له الهمم؛ لما خصّه ربّنا بمزايا عديدة، ومكانة رفيعة، ثبت في صحيح البخاريّ من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (قال الله: كلّ عمل ابن آدم له إلا الصّيام فإنّه لي وأنا أجزي به، ففي الحديث دلالة على أنّ ربّنا – تعالى – اختصّه من بين سائر الأعمال .
- ومن فضائله: أنّه شهر القرآن والصّيام، وشهر الصّبر والقيام، وشهر الرّحمة والعتق والغفران، وشهر الصّدقات والإحسان ...

قال الله – تعالى – : "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ"[2].

وقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : "صُم شهر الصّبرِ رمضان ...[3]

---

[2] سورة البقرة، من الآية: 185.

[3] صحّحه العلّامة الألبانيّ في صحيح وضعيف الجامع الصّغير.

وثبت في الصّحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – : عن النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قال: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه).

وعنه أيضاً في الصّحيحين أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال: « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه ».

وثبت في الصّحيحين من حديث ابن عبّاس – رضي الله عنهما – قال : « كان النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – أجود النّاس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأنّ جبريل كان يلقاه في كلّ ليلة في شهر رمضان حتّى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – القرآن، فإذا لقيه جبريل، كان أجود بالخير من الرّيح المرسلة » .

- شهر التّعاون والمواساة، والتّكافل والمساواة ...

فترى النّاس في رمضان يعتادون صوراً اجتماعيّة رائعة، ويحقّقون معانٍ إيمانيّة سامية، فالتّعاون شعارهم، وتبادل الدّعوات دثارهم، فتسمو بينهم روح التّكافل، وتغمرهم مشاعر الفرحة والغبطة والتّباذل، وتسعد قلوبهم، وتأنس نفوسهم، وتشفّ أرواحهم.

- شهر الفتوحات والانتصارات على الأعداء ...[4]

لقد كان رمضان شهر الفتوحات والانتصارات، شهر البطولات والغزوات الفاصلات، ففيه من الوقائع والأحداث الّتي تبرهن صدق المؤمنين، وإخلاص المتّقين، ففي غزوة بدر انبثقت عزّة الإسلام، وتزعزعت قوى الكفر والطّغيان، وكانت فرقاناً مبيناً بين أولياء الرّحمن وأعوان الشّيطان ...

وفي فتح مكّة كان للإسلام النّصر والعزّة، والمجد والرّفعة، فقد أكرم الله به رسوله، وأقرّ به عينه، وجعله فتحاً مبيناً في إعلاء كلمته، وإكمال دينه، وتطهير بيته ...

وعندما أُختبر النّاس بمحنة المغول، وأحاط العدوّ بدار الخلافة، حُوصِر النّاس، فعاشوا خوفاً وفزعاً، وماتو جوعاً وعطشاً، وقتّل أكثر أهلها، رجالاً ونساءً وأطفالاً، علماء وخطباء وأئمّة وحملة للقرآن، فامتلأت الشّوارع بالقتلى، وجرت الدّماء أنهاراً، فتعطّلت المساجد والجماعات، وأغلقت المدارس والحانات، وهدّمت الدّيار، فترك النّاس ديارهم، وهجروا بلادهم، وأصبحت بغداد خراباً بعد ما كانت آنس المدن كلّها، ثمّ بعد ماقصد العدوّ الغاشم بلاد الشّام، ووصل إلى حلب وحاصرها سبعة أيّام، قيّض الله للغزاة الغاشمين سلطان مصر – قطز – ، القائد الصّنديد، والمقاتل المغوار، الّذي استطاع أن يهزمهم في

[4] وسأسهب في هذه الفضيلة كثيراً؛ لمرارة الواقع الّذي نعيش فيه.

موقعة عين جالوت، وأن يخلّص العرب والمسلمين من شرّ هؤلاء الطّغاة، وأن يكتب للمسلمين العزّة في شهر رمضان الكريم ...

وياترى أين انتصارات المسلمين اليوم ؟ !!! وأين العزّة الّتي مشت جبالاً على الجبال، وبحاراً على البحار، ونجوماً في أعالي الكون، وشهباً في السّماء، أين شباب الإسلام، أين قادة الأمّة، أين أمّة الإسلام ؟ !!!

لقد تعلّقنا بالدّنيا تعلّقاً شديداً، وألفنا فيها الرّاحة والتّرف والخمول، إلى حدّ جعلتنا لانفكّر في شأن مسلم يئنّ ويصيح، يصيح ويستغيث، يستغيث ويستنجد !!!

إنّنا لانعجب يوم أن نرى ونسمع أخباراً عن إخوان لنا في ميانمار يحرّقون، وفي سوريا يذبّحون !!!

لانعجب يوم أن نسمع أخباراً عن فتيات مسلمات يغتصبن، ونساء ثكالى تبقر بطونهنّ، ويجهض حملهنّ !!!

لانعجب يوم أن نسمع أخباراً عن شعب مسلم يحاصر، وآخر يشرّد !!!

والمسلمون في غفلة شديدة، وفي سبات عميق، فيا زمان اتّفق، يامسلم استيقظ، ياضمير انتبه، أين انتسابك لدينك، أين عزّتك، أين معاونتك، أين نخوتك، أين شهامتك، أين نخوة الآباء، أين شهامة الأجداد ؟ !!!

امرأة اعتدي عليها في عهد المعتصم فنادت: وامعتصماآآه ، فبلغ الخليفة الخبر، فسُير لها بجيش أوّله في أرض الخلافة، وآخره في عمّورية !! واليوم هل سمعنا صيحة نادت: وامعتصماآآه ؟ إي وربّي، سمعناها ونسمعها، سمعناها من أفواه العجائز، سمعناها من أفواه الشّيوخ، سمعناها من أفواه الثّكالى، سمعناها من أفواه الصّبايا ولكن :

ربّ معتصماه انطلقت من ملء أفواه الصّبايا اليتّم

لامست أسماعهم لكنّها لم تلامس نخوة المعتصم !

رحم الله سيّدنا عمر بن عبدالعزيز، بلغه الخبر وهو في دمشق بأنّ رجلاً مسلماً أُسر في بلاد الرّوم، فأرسل إلى ملك الرّوم رسالة، قائلاً له فيها: أطلقْ الأسير فور وصول رسالتي إليك، وإلّا غزوتك بجيش أوّله عندك وآخره عندي، فأُطلق الأسير فور وصول الرّسالة تحت الحراسة المشدّدة، حتّى وصل إلى دار الخلافة معزّزاً مكرّماً !!!

إيه يا سيّدنا ياعمر ، ستسيّر جيشاً عرمرماً لإعادة أسير واحد، فكيف إذا رأيت اليوم أمّة تشرّد، وأخرى تذبّح، وثالثة تحرّق ؟!!!

لمثل هذا فليموت القلب من كمد إن كان في القلب إيمان وإسلام !

ماذا دهى أمّة الإسلام اليوم ؟

نرى عالماً يضيع ، نرى صمتاً رهيباً، نرى وضع الأنوف في الذّلّ والهوان، فالإسلام يحارب علناً باسم " الإرهاب "، تحارب شعائره ، تحارب فرائضه، يحارب أهله، والأمّة في ليل أسود بهيم، لاتحرّك ساكناً!!!

أين الملايين الّذين نعدّهم ألا يوجد فيهم فارس مغوار !

أمور تتفطّر لها القلوب، وتتقطّع لها الأكباد، حسرات فوق حسرات لمن يشعر بهذه الحسرات، لصاحب الجرح المكلوم .

إخواني في الله : هل حرّرنا ولاءنا لله ولرسوله ؟

هل نحن أحفاد أولئك الرّجال الّذين صنعهم القرآن، وربّاهم حبيبنا محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – ، فانطلقوا من قاعدة متينة أساسها: أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ؟

هل نحن الّذين نتحاكى أمجاد أمّة مضت كانت لها العزّة والرّفعة، أذلّوا إخوان القرود، ورمّغوا أنوفهم تحت نعالهم، فدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ؟

ما أحوج أمّتنا الإسلاميّة اليوم إلى شباب يتّسمون بتلك الصّفات، شباب لايخاف في الله لومة لائم، دماء الشّهداء عندهم عطر الشّباب والرّجال، وسهام الأعداء في صدورهم أوسمة العزّة والكمال، وخوض المنايا في سبيل الله أغنية النّساء والأطفال، لمواكب الشّهداء عندهم

أفراح وأعراس، ولصليل السّيوف في آذانهم ألحان وأنغام، شعارهم: الله غايتنا، والرّسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا، فما أجملها من أمنية، وما أهناها من خاتمة !!!

فمن منّا لايتمنّى أن يخرّ شهيداً في سبيل الله؛ ليحظى بمقعد صدق عن مليك مقتدر، ومن منّا لا يرغب أن يلحق بركب الشّهداء؛ ليسطّر في التّاريخ سطور المجد ولوحات الخلود، ومن منّا لايتلهّف إلى الشّهادة؛ ليكون بجوار النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، وحسن أولئك رفيقاً ...

أخي في الله: جدير بنا أن نحاسب أنفسنا، ولزاماً علينا أن نسأل أنفسنا: ماذا قدّمنا لديننا ؟ إذا كنّا نرى أعداء الملّة والدّين يبذلون قصارى جهدهم لأجل هدم الإسلام وتدمير أهله، فماذا قدّمنا نحن لخدمة ديننا العظيم ؟ خليق بنا أن نعدّ لهذا السّؤال جواباً، وللجواب صواباً، وللصّواب إخلاصاً ما دمنا على قيد هذه الحياة، وعلينا أن نتدبّر قول أعظم الخلق – صلّى الله عليه وسلّم – : « من مات ولم يغزُ، ولم يحدّث به نفسه، مات على شعبة من نفاق »[5] .

[5] رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – .

فلنعزم من قرارة وجداننا على الغزو في سبيل الله، ولنكرّس جهودنا في وسائل الجهاد، من نشر علم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وإنفاق في سبيل الله، ودعاء لإخواننا المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها ...

- فيه تفتّح أبواب الجنان، وتغلّق أبواب النّيران، وتصفّد الشّياطين ومردة الجانّ ...

ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضى الله عنه – أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال: « إذا جاء رمضان فتّحت أبواب الجنة، وغلّقت أبواب النّار، وصفّدت الشّياطين ».

قال الإمام النّوويّ: قال القاضي عياض – رحمه الله تعالى – : يحتمل أنّه على ظاهره وحقيقته، وأنّ تفتيح أبواب الجنّة، وتغليق أبواب جهنّم، وتصفيد الشّياطين، علامة لدخول الشّهر، وتعظيم لحرمته، ويكون التّصفيد؛ ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتّهويش عليهم، قال القاضي: ويحتمل أن يكون المراد المجاز، ويكون إشارة إلى كثرة الثّواب والعفو، وأنّ الشّياطين يقلّ إغواؤهم وإيذاؤهم فيصيرون كالمصفّدين، ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء، ولناس دون ناس، قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنّة عبارة عمّا يفتحه الله – تعالى – لعباده من الطّاعات في هذا الشّهر الّتي لا تقع في غيره عموماً: كالصّيام، والقيام،

وفعل الخيرات، والانكفاف عن كثير من المخالفات، فهذه أسباب لدخول الجنّة وأبوابها، وكذلك تغليق أبواب النّار وتصفيد الشّياطين عبارة عمّا ينكفّون عنه من المخالفات.[6] فتلك مزايا عظيمة لشهر الخيرات، وشهر المنح والهبات، منّها الله – تعالى – على عباده؛ لتتاح لهم الفرصة في المسارعة إلى فعل الطّاعات، فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشّرّ أقصر ...

- تضاعف فيه الحسنات، وترفع فيه الدّرجات، وتقال فيه العثرات، وتمحى فيه السّيّئات، وتجاب فيه الدّعوات، ويجود الله – سبحانه – فيه على عباده بأنواع الكرامات، ويجزل فيه لأوليائه أسمى العطايات ...

فعن أبي سلمة، عن معقل بن أبي معقل الأسدي قال: أرادت أمّي الحجّ، وكان جملها أعجف، فذكر ذلك للنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – فقال: اعتمري في رمضان، فإنّ عمرة في رمضان كحجّة.[7]

فانظر أخي – رعاك الله – إلى هذه الفضيلة العظيمة في هذا الشّهر الكريم، فمضاعفة الحسنات فيه تجعل نفس المؤمن دوماً تهفو إلى الخير، وتجعل المؤمن يشعر بفرحة تختلج

---

[6] انظر: شرح النّووي على مسلم، ج7، ص188.

[7] رواه الإمام أحمد، قال العلّامة الألبانيّ في إرواء الغليل: سنده صحيح على شرط الشّيخين.

قلبه، وتخالط بشاشة فؤاده، يجد فيض أثرها في حياته، فحريّ بنا أخي أن نغتنم هذه الفضائل ...

وعن أبي هريرة أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – كان يقول: « الصّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات ما بينهنّ إذا اجتنب الكبائر »[8].

ففي الحديث دلالة على أنّ رمضان سببٌ لمغفرة الخطايا والذّنوب، وتكفير السّيّئات وتطهير القلوب، وقد تقدّمت أحاديث تدلّ على هذه الفضيلة.

فلنسارع أخي إلى الطّاعات في شهر العطايا والهبات، وموسم العبادات، وسوق الخيرات، فلا شهر أفضل للمؤمن منه، ولا عمل يفضل عمّا فيه، فهو بحقّ غنيمة للمؤمنين.

- فيه خلوف فم الصّائم أطيب عند الله من ريح المسك، فتلك الرّائحة الكريهة الخارجة من فم الصّائم، تنبعث شذىً وعبيراً، وتسبح عبر الأثير إلى الحيّ القيّوم؛ لتفوح مسكاً خالصاً.

ثبت في الصّحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال بلفظ: والّذي نفسي بيده لخلوف فم الصّائم أطيب عند الله – تعالى – من ريح المسك.

8 رواه الإمام مسلم.

- للصّائم فيه فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربّه.

ثبت في الصّحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – بلفظ: للصّائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه.

فهنيئاً لك أيّها الصّائم بالسّعادة في الدّنيا والآخرة، فإنّ الفرحة الأولى تكون في الدّنيا، بما أباح الله لك من الطّعام والشّراب ... ، ولاتقتصر هذه الفرحة عند هذا النّوع من النّعيم؛ لأنّ كسر سطوة الجوع، وإطفاء لهيب الظّمأ، تشترك فيه الهوام والأنعام، ولكنّها فرحة صلة القلب بالملك العلّام، فرحة الامتثال والاستسلام لأوامر الرّحيم الرّحمن، فرحة الانتصار على هوى النّفس والشّيطان، فرحة نعمة التّوفيق في إكمال أيّام رمضان ...

والأخرى في الآخرة، وما أعظمها من فرحة ! إنّها فرحة اللّقاء بمَن اشتاقت إليه النّفوس، وأذعنت له الرّقاب، وخشعت له الأصوات، وعنت له الوجوه، فرحة اللّقاء بمَن لايردّ من سأله، ولايقطع من وصله، ولاينسى من ذكره، ولايخذل من نصره، فرحة اللّقاء بمَن سجدت لهيبته الجباه، وسبّحت بحمده الأفواه، سبحانه غاية رغبتنا، ومؤنّس وحدتنا، وحافظ نعمتنا، وكاشف كربتنا، وسامع دعوتنا، ومقيل عثرتنا، إنّها فرحة لقاء أحبّ حبيب إلى القلوب، فما أسعدها من فرحة، عندما يجد الصّائم ما أعدّ الله له من النّعيم المقيم، والثّواب الجسيم، في لحظة يكون فيها العبد بحاجة إلى حسنة واحدة تزاد في الأقوال، يكون

فيها العبد بحاجة إلى حسنة واحدة تزاد في الأفعال، يتمنّى صلاح الأقوال والأفعال !!!

اللّهم ارزقنا لذّة النّظر إلى وجهك الكريم، والشّوق إلى لقائك ..

فما أحرى بك أخي الصّائم أن تستشعر هذه الفرحة العظيمة؛ كي تثير كوامن شوقك إلى ربّ الأرض والسّموات، فييسّر لك الطّاعات، ويوفّقك إلى فعل القربات، فتؤدّيها مستشعراً حلاوتها ولذّتها، وتنهيها راجياً ثوابها وثمرتها ..

- ومن فضائل الصّيام: أنّ الله – تعالى – اختصّ الصّائمين بباب من أبواب الجنّة، لا يدخل منه غيرهم؛ إكراماً لهم، ثبت في الصّحيحين عن سهل بن سعد – رضى الله عنه – ، قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : « إنّ فى الجنّة باباً يقال له: الرّيّان، يدخل منه الصّائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصّائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق، فلم يدخل منه أحد »، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – : أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال بلفظ: (ومن كان من أهل الصّيام دعي من باب الرّيّان ... الحديث)[9].

فلنتحرّ أخي أن يكون صيامنا إيماناً واحتساباً، إيماناً بالله – تعالى – لايتزعزع ولايلين، واحتساباً لما أعدّه للصّائم من ثواب وأجر عظيم، ومن ذلك الثّواب: الدخول من باب

---

[9] رواه البخاريّ ومسلم.

الرّيّان، *ولنتذكّر أخي* أصحاب الهمم العليّة، والنّفوس الطّاهرة الزّكيّة، الّذين اتّبعوا التّعاليم السّماويّة، وتخرّجوا من المدرسة المحمّديّة، فهاهو الصّديق – رضي الله عنه – لايقتصر في سؤاله للحبيب المصطفى – صلّى الله عليه وسلّم – عن باب واحد من أبواب الجنّة، وإنّما تتطلّع همّته إلى أكثر من ذلك، ففي الحديث الثّابت في الصّحيحين عن أبي هريرة، أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال: « من أنفق زوجين فى سبيل الله نودي فى الجنّة: يا عبد الله: هذا خير. فمن كان من أهل الصّلاة، دعي من باب الصّلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصّدقة، دعي من باب الصّدقة، ومن كان من أهل الصّيام، دعي من باب الرّيّان »، قال أبو بكر الصّديق: يا رسول الله: ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلّها؟ قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : « نعم، وأرجو أن تكون منهم »، لله درّك يابن الصّديق، همم عليّة، لا يتّسم بها إلّا الرّجال، وكما قيل: همم الرّجال تهزّ الجبال، يمشون على الثّرى، وهممهم في الثّريّا !!! نسأل الله – تعالى – أن يشحذ قلوبنا همّة عالية، تسمو بنا إلى ركْب المقرّبين الأبرار، وقافلة المتّقين الأخيار، إنّه وليّ ذلك ومولاه، وهو على كلّ شيء قدير ..

- ومن فضائل هذا الشّهر المبارك: أنّ الصّيام يأتي شفيعاً لصاحبه يوم القيامة.

فعن عبد الله بن عمرو، أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال: الصّيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصّيام: أي ربّ، منعته الطّعام والشّهوات بالنّهار، فشفّعني فيه ... الحديث[10].

وكفاك أخي الصّائم شرفاً وفخراً ورفعة ومكانة، بأنّ صيامك سيكون شفيعاً لك في يوم عسير، وزحام وحرّ شديد، وكرب عظيم، ووقوف طويل !!! ومن منّا في ذلك الموقف لايتمنّى الشّفاعة، والظّلّ في ظلّ الرّحيم الرّحمن !! فطوبى لمن حفظ صيامه عن المحرّمات، ومنعه عن الشّهوات، وجاهد نفسه على فعل الطّاعات، وأنفق أمواله في البرّ والصّلات؛ ليحظى بشفاعة الصّيام ..

- ومن فضائله: أنّ الصّيام جُنّة، أي: وقاية، وحجاب من النّار، ثبت في الصّحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : « الصّيام جُنَّة »، وعن جابر، عن النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قال: « إنّما الصّيام جُنَّة، يستجنّ بها العبد من النّار، هو لي وأنا أجزي به »[11].

---

[10] رواه الإمام أحمد في المسند، وصحّحه العلّامة الألبانيّ في صحيح الجامع.

[11] رواه الإمام أحمد في المسند، وحسّنه العلّامة الألبانيّ في صحيح الجامع.

فالصّائم المريد رضى الله – تعالى – لاشكّ أنّ صيامه يكون له جُنّة من اللّغو والرّفث والآثام، ووقاية لجوارحه من الوقوع في المعاصي والحرام؛ لأنّه علم علم اليقين أنّ هذا الضّيف المبارك جاء ليكفّ الجوارح عن الحرام، وتوجيهها إلى علّام الغيوب، جاء لتصفية القلوب، وتكفير الذّنوب، فما أعظم الجوارح في شهر رمضان! ما أعظمها راكعة أو ساجدة أو قائمة أو متأمّلة أو معتبرة أو باكية أو خاشعة لله ربّ العالمين! ما أسعدها وهي ذاكرة أو تالية أو موحّدة أو منكسرة بين يدي إله الأوّلين والآخرين!

فلنحرص أخي في الله أن نكون في صيامنا مخلصين صادقين؛ كي نتّقي به كلّ مانخشاه، وننال به كلّ مانتمنّاه من سعادة الدّارين.

- فيه ليلة القدر المباركة الّتي هي خير من ألف شهر.

ليلة شرّفها الله على غيرها، ومَنّ بها على هذه الأمّة، وأشاد بفضلها في كتابه المبين، فقال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5))[12]، وقال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ)[13].

---

[12] سورة القدر.

[13] سورة الدّخان، الآية: 3.

إنّها ليلة مباركة هي خير ليالي رمضان، بل خير ليلة على الإطلاق، ذات قدر وشرف عظيم، ففيها أُنزل القرآن، وفيها تقدّر الآجال والأرزاق، العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر، فيالها من بشرى عظيمة لأمّة قصُر عمرها، تستطيع أن تكسب فيها عمراً مديداً طويلاً، وثواباً جزيلاً، تتنزّل الملائكة فيها إلى الأرض بالخير والبركة، والرّحمة والمغفرة، فيها السّلامة من الشّرّ والأذى والعذاب، فهي خير كلّها، من قامها إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه، كما أخبر بذلك الصّادق المصدوق – صلّى الله عليه وسلّم – في الحديث المتّفق عليه عن أبي هريرة.

فأعظِم بها من فضائل تجعل المؤمن يشمّر عن ساعد الجدّ في الطّاعات وكثرة القربات، وتلاوة القرآن والصّلوات، لذلك كان خير الخلق، حبيبنا وقدوتنا – صلّى الله عليه وسلّم – إذا دخل العشر شدّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله[14]. بأبي أنت وأمّي يا إمام المتّقين، ويا سيّد المرسلين، تقف اللّيالي الطّوال خاشعاً منكسراً وجِلاً باكياً، وقد غُفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر !! لا غَرو في ذلك يا حبيبي يارسول الله، فأنت أعرف النّاس بالله، وأنت أتقى النّاس لله، وأنت أخشى النّاس من الله !!! صلوات ربّي وسلامه عليك.

[14] روى الحديث البخاريّ ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها – .

أخي في الله: لنا في حبيبنا ومعلّمنا الأسوة الحسنة في ذلك، فحريّ بنا أن نقتفي أثره، وندأب دأبه؛ كي نحشر مع زمرته، وتحت لوائه..

ويا ليت شعري كيف لا يشمّر المشمّرون، ويجتهد المجتهدون، ويقنت القانتون في هذه اللّيالي العظام !! إنّها ليالٍ يأنس فيها المحبّون بمناجاة ربّ الأرض والسّموات، ويلهف فيها الصّادقون بذكر بارئ البريّات، ويتطلّع فيها المخبتون إلى ما أعدّه الله من نعيم مقيم في الجنّات، ويبيت فيها عباد الله سجّداً وقياماً، دعاءً وقنوتا، بكاءً وخشوعا، ذكراً واستغفارا، قد سالت مآقيهم على الخدود، وتقطّعت قلوبهم شوقاً إلى جنّات الخلود، يحدو قيامهم الآهات والزّفرات، ويبتهلون إلى الله بالدّعوات؛ طلباً من مولاهم أن يكفّر عنهم الذّنوب والسّيّئات، ويغفر لهم الخطايا والزّلّات، ويسبل عليهم ذيل السّتر على الهفوات، ويرزقهم في الجنّة أعلى الدّرجات ... [15]

❖ فما أعظمك يارمضان، وما أسعد الجوارح عندما تعيش في أيّامك ولياليك، فأنت سلوة للنّفوس، وأنس للقلوب، وروضة للعقول، وبلسم للهموم، بل عزاء لمن تلطّخ بأوحال المعاصي، ومفتاح لمن أراد الطّاعة، ومغلاق على من أراد الشّرّ والفساد.

---

[15] ولمعرفة المزيد من فضائل شهر رمضان انظر: فضائل رمضان لابن أبي الدّنيا، بتحقيق: عبدالله بن حمد المنصور، وفضائل شهر رمضان لابن شاهين، بتحقيق: سمير بن أمين الزّهيري.

❖ فيك تجسّم مبادئ المحبّة والأخوّة، حيث ينساب المجتمع الإسلاميّ فيك كنهر عذب مورود، يسقي من ماء إخائه كلّ من كان متعطّشاً للمّ الشّمل وتوحيد الصّفّ، فما أجمل المؤمنين حينما تتصافح أيديهم بالمحبّة، وتلتقي قلوبهم على أواصر وروابط الأخوّة، ما أعظم منزلتهم عند الله، وما أكرم مقامهم في الملأ الأعلى، وهم يمشون على طريق المحبّة والأخوّة والوفاء، وما أحوج الأمّة الإسلاميّة اليوم إلى هؤلاء الشّباب المؤمنين الصّادقين المتحابّين الّذين يحملون في نفوسهم أسمى وأنبل معاني المحبّة والأخوّة والتّضحية والفداء؛ لتجني الأمّة من ورائهم ثمرة وحدتها، وانبثاق حضارتها، وترسيخ تكافلها، فتكون بعد ذلك سوطاً قاصماً، ونيراناً محرقاً لأعداء الملّة والدّين.

رمضـــــــــــــــــــان

الخير بادٍ فيك والإحسانُ والذكرُ والقرآنُ يارمضانُ

والصّوم فيك عبادة ورياضةٌ تسمو بها الأرواحُ والأبدانُ

والشّر فيك مكبّلٌ ومغللٌ والبرُّ فيك مجلّلٌ هتّانُ

واللّيل فيك نسائمٌ هفّافةٌ رقصت لطيب عبيرها الرّهبانُ

والفجر فيك عبادةٌ وتلاوةٌ والصّبح فيك سِعايةٌ وأمانُ

والرّوح فيك طليقةٌ رفرافةٌ أحلامها الغفرانُ والرّضوانُ

والجسم فيك حبيسةٌ أطماعه لا يستريح إذا سما الوجدانُ

والنّاس فيك تآلفٌ قد ضمّهم وأظلّهم ظلُّ الهدى الفينانُ

فكأنّهم جسمٌ يئنّ إذا اشتكى عضو به وكأنّهم بنيانُ

رمضانُ رياضُ المؤمنين وزادُ المتّقين

إخواني في الله: شهر رمضان شهر مغنم وأرباح، عرف حقيقته حبيبُنا ومعلّمنا ومرشدنا ومخرجنا من الظّلمات إلى النّور محمّد – صلّى الله عليه وسلّم –، وعلّم الصّحابةَ الكرام هذه الحقيقة، ثمّ عرف تلك الحقيقةَ السّلفُ الصّالح، فكان منهم القارئ، ومنهم الباكي، ومنهم الرّاكع، ومنهم السّاجد، ومنهم المعتبر، ومنهم الذّاكر، ومنهم المتأمّل، ...

عرفوا أنّ مقصد ومدلول الصّيام التّقوى؛ تدبّراً لقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "[16]، فربطوا صيامهم بالتّقوى، وأنفسهم بالتّطلّع إلى ما عند الله من النّعيم المقيم، فهانت الدّنيا عندهم، وعلموا أنّها لاتصلح للقرار، وعظمت الآخرة في قلوبهم، فصبروا وصابروا ونغّصوا بالصّيام لذّة

[16] تقدّم عزو الآية.

الهوى، حتّى أصبحت أبدانهم نحلى من الجوع والضّرر، وأجفانهم قد حالفت في اللّيل السّهر، ودموعهم تجري كقطرات المطر، قد تأهّب القوم للسّفر، يحدوهم ركوب الخطر ...

❖ فما أجمل أحوال العبّاد فيه، وما أرقّ قلوبهم وهم يستمعون إلى كلام الله – تعالى – ، فتجد جنبات مساجدهم تعجّ بالخنين والنّحيب والبكاء، وتسمع لقلوبهم أزيزاً كأزيز المرجل، قد تحوّلت عباراتهم إلى عبرات، وترجمت مكنون نبراتهم إلى زفرات، عيونهم باكية، ووجوههم شاحبة، وقلوبهم منكسرة، هجروا لذّة الفراش؛ ابتغاء مرضات الله، قال تعالى: " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ "[17]، وقال تعالى: " كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"[18]، تصدق فيهم الأبيات التّالية وهي تصف بيوتهم وصيامهم وسماتهم :

بيوت الصّالحين لها دويّ بذكر الله ربّ العالمين

لها نور من التّوفيق عالٍ كأنّ شعاعه من طور سينا

صيام العارفين له خنين إلى الرّحمن ربّ العالمين

تصوم قلوبهم في كلّ وقت وبالأسحار هم يستغفرونا

---

[17] سورة السّجدة، الآية: 16.

[18] سورة الذّاريات، الآيتان: 17، 18.

القانتون المخبتون لربّهم النّاطقون بأصدق الأقوال

يحيون ليلهم بطاعة ربّهم بتلاوة وتضرّع وسؤال

وعيونهم تجري بفيض دموعهم مثل انهمال الوابل الهطّال

في وجوههم أثر السّجود لربّهم وبها أشعّة النّور المتلالي

يمشون نحو بيوت الله إذ سمعوا الله أكبر في خوف وفي وجل

أرواحهم خشعت لله في أدب قلوبهم من جلال الله في وجل

نجواهم ربّنا جئناك طائعة نفوسنا وعصينا خادع الأمل

إذا سجى اللّيل قاموه وأعينهم من خشية الله مثل الجائد الهطل

هم الرّجال فلا يلهيهم لعب عن الصّلاة ولا أكذوبة الكسل

هكذا كان أولئك الأخيار، لو كان أحدنا فيهم لعجب من الشّيخ الكبير، يبلغ من السّنّ عتيّا، فيهادى بين رجلين، وتخطّ قدماه في الأرض خطّا؛ ليدرك فضيلة صلاة التّراويح !!! ولعجب من تلك المرأة العجوز، وهي تحبو على يديها ورجليها، وقد احدودب ظهرها،

وابيضّ شعرها، وتقاربت أنفاسها، وضعف جسمها، ووهنت عظامها، وخارت قواها، وتثاقلت قدماها، فتحبو وتحدوها الرّعشة؛ تنافساً على إدراك فضيلة صلاة التّراويح !!!

فسبحان من أخشع قلوبهم وقلوبهنّ فكساها ذلّة وانتصارا !!

سبحان من أبكى تلك العيون من خشية الله ليلاً ونهارا !!

سبحان من رفع أكفّهم إلى السّماء سائلة الله أن يرزقها جنّة ويبعدها نارا !!

وألّا يفضحها يوم العرض عليه فيكسبها خزياً وعارا !!

سبحان من شرح صدروهم بالطّاعات، ووفقهم لعمارة الأوقات بالصّالحات !!

فكم فيهم من تائب قبلت توبته، وداع استجيبت دعوته، ومكروب فرّجت كربته ..

آن لنا إخواني في الله أن نصدق مع الله في عبادته وطاعته ومراقبته ...

آن لنا إخواني في الله أن نتذكّر أولئك الصّائمين الصّادقين فنحذو حذوهم؛ فهم وربّي على نهج نبيّنا – صلّى الله عليه وسلّم – ...

آن لنا إخواني في الله أن نتذكّر صدق المخلصين، ودمعة التّائبين، وعطاء المتصدّقين، وإحسان المحسنين، وبكاء الخاشعين، ومراقبة الزّاهدين، وعبادة العلماء الرّبّانيّين ...

فلنتذكّر ثمّ لنتأسّ بهم لاسيّما ونحن نعيش في أيّام خير الشّهور، لاسيّما ونحن نعيش في دار العمل، معافين في أجسامنا، وجوارحنا، فجدير بنا أن نسارع إلى الصّالحات، وحقيق علينا أن نغتنم هذه السّاعات، وخليق بنا أن نسخّر جوارحنا في طاعة الله؛ نيلاً لمرضاته، وفوزاً بجنّاته ..

فإنّا لانعلم هل سيؤول إلينا رمضان في العام المقبل، بل هل ياترى سنكمل عدّة رمضان في هذا العام؟ أم ستدركنا المنايا فلا يؤول إلينا !!!

.....

سبحانك ربّي لا إله إلّا أنت أمل الآملين، وغاية سؤل السّائلين، ووليّ الصّالحين، وأمان الخائفين، ومجيب دعوة المضطرّين، وغياث المستغيثين، نشهدك، ونشهد حملة عرشك، وملائكتك، وجميع خلقك أنّك أنت الله الواحد الأحد، الفرد الصّمد، المتفرّد بالعظمة والكبرياء، اللّهمّ إنّا نسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، وقرّة عين لا تنقطع، ومرافقه نبيّنا في جنّات الفردوس، وارزقنا اللّهمّ لذّة النّظر إلى وجهك الكريم ...

اللّهمّ ربّاه اجعلنا من الصّائمين رمضان إيماناً واحتساباً، ومن القائمين رمضان إيماناً واحتساباً، اللّهمّ إنّا نسألك العفو والعافية في الدّين والدّنيا، اللّهمّ أعتق رقابنا ورقاب والدينا

وجميع المؤمنين من النّار، اللّهمّ ربّنا ومولانا وفّقنا ومَن له حقّ علينا للصّالحات قبل الممات، وأرشدنا إلى استدراك الهفوات قبل الفوات، وألهمنا بأخذ الزّاد والعدّة بالوفاة قبل الموافاة، ونجّنا ربّنا يوم العبور على الصّراط، يوم تنسكب العبرات، واستجب منّا صالح الدّعوات، وهب لنا في الدّنيا لذّة المناجاة، وفي الآخرة سرور التّحيّات، وبلّغنا ما لا تبلغه آمالنا وأعمالنا من الخيرات، واجعلنا من عبادك المخلصين الأخيار، الّذين تتباهى بهم الملائكة في الموقف العظيم، مع الّذين أنعمت عليهم من النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين برحمتك يا أرحم الرّاحمين، ويا أكرم الأكرمين.